

المعجزة

المُعْجِزَةُ لغة: مأخوذة من العجز ضد القدرة^(١).
واصطلاحاً: هي عبارة عما قصد به إظهار صدق مَنْ ادعى أنه رسول الله^(٢).
وقد اشترط المحققون فيها الشروط الآتية^(٣):
١ - أن تكون أمراً من الله تعالى، ليصدق مدعي النبوة.
والأمر يشمل:
أ - القول: كالقرآن الكريم.
ب - والفعل: كنجع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ.
ج - والترك: كعدم إحراق النار لإبراهيم الخليل عليه السلام.
٢ - أن تكون خارقة للعادة، التي اعتاد عليها الناس، واستمروا عليها مرة بعد أخرى.
وهذا الشرط يفيد أن غير الخارق لا يكون معجزة، كما إذا قال: آية صدقي
طلوع الشمس من حيث تطلع، وغروبها من حيث تغرب.

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ١٧٥.

(٢) المواقف وشرحه ص ٥٤٧. وهناك تعريفات أخرى أريد بها حصر شروط المعجزة.

(٣) انظر هذه الشروط في: الباجوري على الجوهرة ج ٢ ص ٣٥ - ٣٦ والعلامة عصام على العقائد
النسفية ص ١٣٣ - ١٣٤ والمواقف وشرحه ص ٥٤٧ - ٥٤٨ والمقاصد وشرحه ج ٢ ص ١٧٥ - ١٧٧
والدواني ج ٢ ص ٢٧٦ وحاشية الخلخالي عليه. والمسامرة ص ٢٤٠ - ٢٤٢ ورسالة في التوحيد
ص ٧٣ - ٧٤ وحجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ص ٨ وما بعدها، واليواقيت
والجواهر للشُّغْرَانِي ج ١ ص ١٥٦ - ١٦١.

٣ - أن تكون على يد مدّعي النبوة أو الرسالة.

أي أن صاحبها يقوم بدعوة إلى دين، فيه سعادة الناس في الدنيا والآخرة. وعندئذ لا تدخل في المعجزة الأمور الآتية:

أ - الإهانة: وهي ما يظهر على يد فاسق أو كافر، كما وقع لمسيلمة الكذاب حين بصق في عين أعور لثبراً، فعميت الصحيحة.

ب - الاستدراج: وهي ما يظهر على يد فاسق أو كافر، خديعة أو مكرراً منه، أي استدراجاً لهم، وزيادة في غيهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم غافلون، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سُوا مَا دُكِرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرُ الْفَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا رأيت الله يعطي العبد في الدنيا وهو مقيم على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا سُوا مَا دُكِرُوا بِهِ...﴾ الآية، والآية التي بعدها^(١).

ج - المعونة: وهي ما يظهر على يد العوام تخلصاً لهم من شدة.

د - الكرامة^(٢): وهي ما يظهر على يد صالح تقي.

(١) أخرجه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والطبراني في الكبير، وأبو الشيخ وابن مردود، والبيهقي في الشعب عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ. / الدر المنثور ج ٣ ص ١٢. وهو في الجامع الصغير ج ١ ص ٦ وهو حديث حسن. ولم يذكر الآية.

(٢) الكرامة: هي أمر خارق للعادة تظهر على يد الولي، غير مقترنة بدعوى النبوة. والولي: هو العارف بالله تعالى وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المغرض عن الانهماك في اللذات والشهوات^(١). وسبب الكرامات الإيمان والتقوى^(٢). قال تعالى بصف الأولياء: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ لَهُ لَا خَوْفُ

(١) شرح العقائد النسفية للفتاواني ص ١٣٩ وشرح المقاصد ج ٢ ص ٢٠٣ والدواني ج ٢ ص ٢٨٢ والدردير على الخريدة ص ١٢٢ ولوامع الأنوار ج ٢ ص ٣٩٧ وفيه ذكر شروط الولي، والرسالة القشيرية ص ١٥٨ وما بعدها، وكتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، والباجوري على الجوهرة ٥٤/٢ - ٥٥، وحجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين، والواقيت والجواهر ج ١ ص ١٦٠ - ١٦٢.

(٢) الفرقان لابن تيمية ص ٨٩.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُعْرَضُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَتَدَبَّرُ بِكَفَرَتِ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٨﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

وقد أثبتها جمهور المسلمين من السلف والخلف، وأبو الحسين البصري من المعتزلة^(١)، حتى أنكر الإمام أحمد بن حنبل على مَنْ أنكرها، وضلَّه^(٢)، بل جعل بعضهم إنكارها فسقاً وابتداعاً^(٣)، وحجتهم:

أ - القرآن الكريم: مثل:

تساقط الرطب الجني من النخلة اليابسة على مريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿وَهَزَىٰ بِإِذِكَ جَبَلٌ أَنَتَخَلَّىٰ فَتُخَذُّ عَلَىٰ رُطَبًا جَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

ووجود الرزق عندها بلا سبب، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَوْجَهَا بَدْرًا أَصْحَابَ وَجَعَتْ فِيهَا مَقْرِبَاتٍ يَزْفَرُونَ مِنْهَا وَكَانَتْ تَرْجُو دُخُولَهَا وَكَانَتْ تَنفِرُ عَنْهَا فَلَمَّا تَوَلَّىٰ وَكَانَتْ تَحْتَقِيقُ أَنَّ لِلَّهِ هَٰذَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧].

ولبت أهل الكهف ثلاثمائة وتسع سنون بلا طعام وشراب، قال سبحانه: ﴿وَلْيُكَلِّمُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَعَامًا﴾ [الكهف: ٢٥].

وإتيان وزير سليمان عليه السلام (أصف بن برخيا) بعرش بلقيس بطرفة عين مع المسافة البعيدة: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

ب - تواتر عن الصحابة الكرام عدد كبير من الكرامات بحيث لا يمكن إنكاره، منها:

لما أرسل عمر بن الخطاب عليه السلام جيشاً إلى نهاوند، أمر عليهم رجلاً يسمى سارية، فبينما عمر يخطب، فجعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبل. فقدم رسول الجيش فسأله فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل، فهزمهم الله.

ولما حاصر خالد بن الوليد عليه السلام حصناً منيعاً، قالوا: لا تسلّم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره^(٤).

ج - إثبات الكرامة للولي هو إثبات معجزة الرسول ﷺ، لأنه لن يكون ولياً إلا بعد أن يكون محققاً في ديانته، وديانته الإقرار بالقلب واللسان برسالة رسوله ﷺ مع الطاعة له في أوامره، لأن الولي لو ادعى الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة للنبي، لم يكن ولياً، ولم تظهر الكرامة على يده على سبيل الولاية، وإنما قد يظهر على سبيل الاستدراج^(٥).

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ٣٩٦.

(٢) لوامع الأنوار ج ٢ ص ٣٩٣.

(٣) الصاوي على الدردير ص ١٢٢.

(٤) انظر هذه الأمثلة وغيرها في المواقف وشرحه ص ٥٧٨ - ٥٧٩ وجميع المصادر السابقة المنحذة عن الكرامة.

(٥) شرح العقائد للتفتازاني ورمضان أفندي عليه ص ٢٩٢ وشرح المقاصد ج ٢ ص ٢٠٣.

٤ - أن لا تكون متقدمة على دعوى النبوة، بل مقارنة لها أو متأخرة عنها بزم من يسير يعتاد مثله.

لأن المعجزة شهادة من الله تعالى على صدق المدعي، والشهادة لا تتقدم على الدعوى.

د - الكرامة أمر ممكن، ووجود الممكنات مستند إلى قدرته تعالى الشاملة لجميعها، فلا يمنع شيء منها على قدرته^(١).

وأنكر الكرامة: أبو إسحاق، والخليلي من الأشاعرة، وأكثر المعتزلة^(٢) وابن خزم الظاهري^(٣) بحجة:

أنها تشبه حينئذ بالمعجزة ورد بما يأتي:

١ - الكرامة ثابتة بالقرآن، وتواترها في كل عصر يشهد بأنها حق لا يمكن إنكاره كما تقدم.

٢ - وأن المعجزة تفتقر عن الكرامة بالأمور الآتية:

أ - المعجزة مقارنة لدعوى النبوة، أما الكرامة فهي غير مقارنة لها، فصاحب الكرامة لا يدعي النبوة، بل هو متبع للنبي متمسك بشرعه، فلا تلبس عندئذ الكرامة بالمعجزة^(٤).

ب - المعجزة مقدورة للأنبياء متى أرادوها، إما باختيارهم، وإما باقتراح الأمة. أما الكرامة فقد يأتي بها الولي، وقد لا يستطيع الإنبياء بها^(٥).

ج - الأنبياء يحتاجون بمعجزاتهم على المشركين، لأن قلوبهم قاسية لا يؤمنون بالله ﷻ، والأولياء يحتاجون بالكرامة على نفوسهم، حتى تطمئن، وتوقن، ولا تضطرب، ولا تجزع عند قوت الرزق، لأنها أثاره بالسوء جاحدة مشرقة مجبولة على الشك، ليس عندها يقين بما ضمن لها خالقها من الرزق^(٦).

هـ - أن الأنبياء كلما زادت لهم من المعجزات، يكون أتم لمعانيهم وفضلهم، وهؤلاء الذين لهم الكرامات من الأولياء كلما زادت في كراماتهم، يكون وجلهم أكثر، وخوفهم أكثر، حذراً أن يكون ذلك من المكر الخفي لهم والاستدراج، وأن يكون ذلك نصيبهم من الله ﷻ، وسبباً لسقوط منزلتهم عند الله ﷻ^(٧).

(١) شرح المواقف ص ٥٧٨.

(٢) الذوّاني وشرح المقاصد وشرح المواقف ولوامع الأنوار والصاوي على الدردير والباجوري السابقة والرسالة القشيرية ص ١٥٨.

(٣) الفصل لابن خزم ج ٥ ص ١١ وذكر رأي أهل الظاهر الطوسي في اللّمع ص ٣٩٣.

(٤) المصادر السابقة في رقم (٩).

(٥) رمضان أفندي ص ٢٨٩ - ٢٩٠ والرسالة القشيرية ص ١٥٩.

(٦) اللّمع ص ٣٩٣.

(٧) اللّمع ص ٣٩٥.

فخرج بذلك: الإرهاص (مشتق من أرهصت الحائط أي أسسته): وهو ما كان قبل النبوة من الخوارق تأسيساً لها، كإظلال الغمام له ﷺ قبل بعثته، وشق صدره، وككلام عيسى ﷺ في المهد.

والأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الولاية.

٥ - أن تكون موافقة لدعوى النبوة.

فخرج بذلك المخالف لها، كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل.

٦ - أن لا تكون مكذبة له.

فخرج بذلك ما إذا كانت مكذبة له، كما إذا قال: آية صدقي نطق هذا الجماد، فنطق بأنه مُفْتَرٍ كذاب.

٧ - أن تتعذر معارضته.

وخرج بذلك:

السحر: وهو قواعد تُكتسب بالتعليم يقتدر بها على أفعال غريبة.

والكهانة: وهي التنبؤ بالمغيبات لا عن دليل.

والشعبذة أو (الشعوذة): وهي خفة في اليد يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها، كما يقع للحواة (جمع حاوي).

٨ - أن لا تكون في زمان نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها، لأن ما يظهر عند ظهور أشرار الساعة وانتهاء التكليف لا يشهد بصدق الدعوى لكونه زمان نقض العادات.



معجزة الرسول دليل صدقه

إظهار المعجزة يفيد العلم بصدق النبي أو الرسول، كما يفيد تصديق الله سبحانه له، فكأنها - على ما قال إمام الحَرَمين - بمنزلة أن يقول: جعلته رسولاً، أو أنشأت الرسالة فيه^(١) وذلك لأن معجزة الأنبياء بخرقها العادة أعجزت المتحدّين عن

(١) شرح المقاصد ج ٢ ص ١٧٩.